



## الفصل الثاني

الأخذ بفهم السلف



**يعتبر فهم السلف أحد الركائز الأساسية المقومة لمنهج الاستدلال عند أهل السنة والجماعة، ومن أهم ما يحصل به التمايز بينهم وبين المخالفين.**

وذلك لما ثبت للسلف من الفضائل والمزايا والخيرية، التي شهد لهم بها رسول الله ﷺ في قوله: (خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)، والخيرية هنا عامة، تشمل الأقوال والأعمال والاعتقادات والفهم وغيرها، فهم أفضل من الخلف في كل فضيلة، وهذا مجمع عليه عند أهل السنة والجماعة؛ ولذا كانت أقوالهم وتصرفاتهم من أحسن ما يستدل به على معاني نصوص الوحي.

ونظرًا لهذه المنزلة السَّامقة لفهم السلف، كان من الضروري الكشف عن مفهومه، وسبل تحصيله، والجواب عما يُثار حوله من إشكالات.

---



## المبحث الأول

### المراد بفهم السلف وطريقة تحصيله



# المطلب الأول

المراد بفهم السلف

## المسألة الأولى

**المراد بفهم السلف باعتباره مركبًا**

### الفهم لغة:

هو معرفة الشيء والعلم به.

### السلف لغة:

التقدم والسبق والمضي.

## وأما من حيث الاصطلاح فله استعمالان:

### الاستعمال الأول

إطلاقه على حقبة زمنية معينة، والمعتمد في تحديد هذه الحقبة هو قوله ﷺ: (خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم)، فالسلف هم أصحاب هذه القرون الثلاثة التي وقع تفضيلها في الحديث، ومن ثم كان لا بد من بيان مفهوم القرن ليتحدد معنى السلف، **والقرن لغة له إطلاقان:**

**الأول:** باعتبار الزمان، فهو الوقت من الزمان.

**الثاني:** باعتبار الأشخاص، وهم أهل كل زمان.

## وتبعاً للاختلاف اللغوي وقع الاختلاف في المعنى الاصطلاحي على قولين:

**١ من حدده بالزمن،** وأصحاب هذا القول اختلفوا في تحديده على أقوال عدة ما بين عشرة أعوام إلى مئة وعشرين عامًا، وإن كان أشهرها تحديده بالمئة.

**٢ من حدده بالأشخاص،** وأقوالهم تؤول إلى أن المراد بالقرن هو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان، وهذا ما قرره ابن تيمية؛ وذلك أن القرن مشتق من الاقتران، فيكون المراد به جمهور القوم الذي اقترنوا في زمان واحد.



**وبناء على هذا التقرير فالمراد بالسلف** هم أهل القرون الثلاثة الذين أثنى عليهم النبي ﷺ، وهم على رأي ابن تيمية: جمهور الصحابة، وقد انقضوا بانقراض الخلفاء الأربعة، حتى إنه لم يبق من أهل بدر إلا نفر قليل، وجمهور التابعين بإحسان، وقد انقضوا في أواخر عصر أصاغر الصحابة في إمارة ابن الزبير وعبد الملك، وجمهور تابعي التابعين، وقد انقضوا في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية.

## الاستعمال الثاني

فهو إطلاقه على منهج ومذهب معين، **والمراد به:** ما كان عليه الصحابة الكرام وأعيان التابعين لهم بإحسان وأئمة الدين ممن شهد له بالإمامة، من علم وعمل واعتقاد وفقه وأخلاق وسلوك وعبادة، وسائر شؤون الدين، ولا يدخل في ذلك من رُمي ببدعة، أو انتسب لغير أهل السنة.

## المسألة الثانية

### المراد بفهم السلف باعتباره لقبًا

**(فهم السلف) أو (فهم الصحابة)** مصطلحان يردان في كلام ابن تيمية كثيرًا، وإن كان الأخير أكثر ورودًا، وهذان المصطلحان يدخلان في معناهما كل ما فهمه السلف الصالح واستنبطوه من معاني الكتاب والسنة، ويدخل فيه أيضًا منهجهم في التعاطي مع النصوص والتعامل معها فهمًا واستدلالًا، وكذا ما استفادوه من النصوص من معان وأحكام وشرائع وعقائد وأخلاق وغير ذلك.

والقول بأن المراد بـ(فهم السلف) هو منهجهم في الاستدلال؛ قول لا يحصل به التمايز التام في الجملة؛ وذلك لأن فهم السلف هو أحد المعايير التي بها يتميز منهج أهل السنة والجماعة عن بقية الفرق.

**ومن ثمَّ فإنَّ المراد بفهم السلف المحتج به، والذي به يمتاز أهل السنة عما سواهم؛** هو ما حققوه من مناطات قواعد الاستدلال، وما طبقوه على النصوص. وبعبارة أخرى: فهم السلف؛ هو فهم مخصوص بأمر معين، وهذا الفهم من خلال تتبع لعبارات ابن تيمية في مواطن عديدة يتمثل فيما أجمع عليه السلف في المطالب الشرعية، سواء كان إجماعهم صريحًا، أو سكوئيًا، أو ضمنيًا، كما أن إجماعهم شامل للمسائل والدلائل، وإجماعهم ربما يكون على حكم مسألة، أو تفسير دليل، كما أن إجماعهم قد يكون على مسألة جزئية؛ كرؤية الله في الآخرة عيانًا، وقد يكون على مسألة كلية منهجية لها فروع وتطبيقات تمتد في أبواب كثيرة، كإجماعهم على قبول خبر الواحد في سائر مطالب الدين؛ في العمليات والعمليات.



**لماذا عبر بـ(فهم السلف) أو (فهم الصحابة) عن الإجماع، ألا يفترض أن يعبر بمصطلح (الإجماع) لكونه مصطلحاً متداولاً ومشهوراً عند العلماء، كما أن التعبير به يزيل كثيراً من الوهم الذي تغشّى بعض الأوهام فظنت أن فهم السلف يباين الإجماع؟**

لم أقف على نص لابن تيمية يبين سبب هذا الإطلاق، إلا أن هناك أموراً يمكن أن يلتبس منها السبب، وهي:

■ أن الإجماع المنضبط هو إجماع السلف، وهذا ما أشار له ابن تيمية.

■ لأن أهل البدع يدعون الإجماع على عقائدهم، فالتعبير بالإجماع يوهم أن إجماعهم معتبر، والأمر ليس كذلك؛ إذ الإجماع المعتبر -خاصة في أبواب الاعتقاد- هو إجماع السلف ومن سار على منهجهم لا غير.

■ أن السلف قد استوفوا الكلام على تفسير القرآن ومطالب الاعتقاد المتقررة في الكتاب والسنة.

■ أن لفظ الإجماع ينصرف حين إطلاقه -غالبًا- إلى الإجماع على المسائل، فوقع التعبير بمصطلح **يشمل**: الإجماع على المسائل، وكذا الإجماع على معاني نصوص الوحي، وكذا المسائل الكلية المنهجية التي تدرج ضمنها مسائل فرعية.



# المطلب الثاني

طريقة تحصيل مذهب السلف

## المسألة الأولى

### كيفية نسبة المذهب للسلف

للناس في نسبة المذهب أو القول للسلف **طريقان:**

**١ النقل؛** وذلك من خلال نقل النصوص المبينة لمذهب السلف، **والنقل له منهجان:**

■ **تحصيل** مذهب السلف من خلال نفس أقوالهم، واستقرائها والنظر في متونها وأسانيدها، والتثبت من ذلك وكثير من أقوال السلف صريح في الدلالة على معناه.

■ **الحكاية** عن استقرأ أقوال السلف وتثبت منها، من أئمة وعلماء المسلمين.



والكتب المصنفة على هذه الطريقة كثيرة جدًا، فالأمة قد أوعبت في نقل أقوال السلف، والنقل عن استقرأ أقوالهم من أئمة المسلمين، فصار مذهب السلف منسوبًا إليهم من جهة التواتر والإجماع.

وهذا الطريق هو الطريق الصحيح في نسبة العقائد إلى السلف، وهي الطريقة المعتمدة والمأمونة لمعرفة مذهبهم.

## ٢

**الاستنباط والاجتهاد، والمراد به:** نسبة الأقوال للسلف من خلال النظر في أقوالهم غير الصريحة واستنباط مذهبهم منها، أو من خلال الاجتهاد بنسبة القول لهم؛ بناء على ما يعتقده الناظر فيهم، **وهو نوعان:**

**الاستنباط،** وهو: النظر في أقوالهم غير الصريحة في دلالتها على مسألة معينة، واستنباط ما قد يُفهم أنهم يقولون به، وهذا المسلك في نسبة العقائد إلى السلف ليس هو الأساس في نسبة الأقوال لهم، وإنما يُسلك فيما لم ينصُّوا عليه.

## وهذا المسلك من الاستنباط يشترط فيه:

- أن تكون عبارات السلف فيه محتمة للمعاني المنسوبة إليها.
- أن يكون للقول المستنبط مستند من نصوص الشريعة.
- ألا يخالف القول المستنبط منهج السلف أو من يُنسب إليه القول منهم في الدلائل والمسائل.
- أن يكون القول أو المذهب الذي حصل الاستنباط منه صحيح النسبة إلى قائله.

■ **الاجتهاد المحض:** وذلك من خلال نسبة المذهب أو القول للسلف من غير استناد إلى النقل عنهم، ولا عمن نقل عنهم، وليس للسلف في ذلك القول المنسوب إليهم كلام، وإنما هو اجتهاد محض ممن نسب القول إليهم، وهذا بناء على ظنه بأن السلف لا يمكن أن تقع منهم مخالفة لما يعتقدوه هو.

وهذا المسلك استعمله بعض المتكلمين وغيرهم من أهل البدع في نسبة العقائد للسلف؛ بناء على أن قولهم صواب، وأن السلف لا يقولون إلا ما هو صواب، فيكون السلف قائلين بقولهم.

## المسألة الثانية

### ضوابط فهم كلام السلف

حتى يفهم كلام السلف على وجهه ومراده، ينبغي لمن ينظر فيه أن يستحضر جملة من الضوابط، وهي:

- ١ أن تفهم ألفاظهم وتعابيرهم وفق معهود لغة العرب والحقائق الشرعية.
- ٢ حَمَل مجمل كلامهم على مبيّنه، ومتشابهه على محكمه، ومطلقه على مقيده.
- ٣ معرفة القول أو المذهب أو الشخص الذي توجهوا بالرد عليه، وفهم عباراتهم؛ بناءً على ما قام بذلك المردود عليه من معتقد.